بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. والصلاة والسلام على معلم الناس الخير، وهادي البشرية إلى الرشد، وقائد الخلق إلى الحق، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وحجة على الناس أجمعين وختم برسالته رسالات الأنبياء، وبشريعته شرائعهم، وأكمل له الدين، وأتم به عليه النعمة سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، وسار على دربه إلى يوم الدين.

أما بعـــد:

فـإن الإسـلام، إذا أردنـا تلخيصـه فـي كلمتيـن اثنتيـن، قلنـا: هـو عقيـدة وسلوك أو إيمان وعمل.

والعلم المتكفل ببيان العقيدة وتعاليمها وشرحها هو (علم التوحيد).

والعلم المتكفل ببيان العمل ومعرفة ما له من حكم شرعي هو (علم الفقه).

وهناك علم اختص بالأعمال الباطنة، أي ما يتعلق بأعمال القلوب، محبوبة كات أو مبغوضة، وهو (علم التصوف)، أو (السلوك).

ومن أئمتنا من وضع هذه العلوم كلها جنباً إلى جنب في نسق واحد، كما فعل ذلك الإمام أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، في كتابه الشهير (إحياء علوم الدين) الذي استوعب كل ما يهم المسلم معرفته من قواعد العقائد التي يهتم بها

علم الكلام، أو التوحيد، ومن الأعمال الظاهرة ــ عبادات ومعاملات ــ التي يهتم بها علم التصوف، والتي هي لب الكتاب وجوهره.

ومن الأئمة من أدخل التوحيد والعقائد تحت اسم الفقه، وسماه الفقه الأكبر) كما رُوي ذلك عن الإمام أبـي حنيفة.

ومنهم من أدخل ما لا بد من تعلمه من العقائد والآداب في الكتب الموضوعة أساساً للفقه، كما نرى ذلك في كتاب (الرسالة) لابن أبـي زيد القيرواني (ت ٣٨٦هـ) وهي مشهورة في الفقه المالكي، ومشروحة لأكثر من واحد، فقد بدأها بما يجب معرفته من العقائد، وختمها بمجموعة من الأحكام المتعلقة بالآداب والأخلاق، مما أُمر به أو نُهي عنه.

وكما فعل ذلك الإمام الظاهري أبو محمد ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) في كتابه المعروف (المحلَّى) فقد بدأه بأهم ما يجب العلم به من العقائد والأصول.

ولكن الذي اشتهر في الاصطلاح، واستقر عليه الأمر، هو إفراد علم الفقه بالأفعال الظاهرة للمكلفين، من عبادات أو معاملات، ليعرف به الحلال من الحرام، والصحيح من الفاسد، والمشروع من غير المشروع، وعلى أساسه قامت (مجامع الفقه).

وعلى ضوء هذا التحديد نتحدث هنا عن (تيسير الفقه) أو (الفقه الميسّر المعاصر). وعن (أصول هذا الفقه الميسر)، تمهيداً للكتابة في أبواب هذا الفقه من عبادات ومعاملات وآداب، وأحكام تتعلق بالأسرة، وبالمجتمع، وبالدولة، وبالعلاقات الدولية، وغيرها، مما يدخل في نطاق الفقه، الذي يستوعب الحياة كلها: فردية واجتماعية، ولا يدع فعلاً من أفعال المكلفين إلا وأصدر فيه حكماً من الأحكام الشرعية الخمسة المعروفة، وهي: الوجوب والاستحباب والحرمة والكراهة والإباحة.

هذا. وقد أصدرت منذ سنوات كتاباً في هذا الجانب أو هذه السلسلة، هو كتاب (تيسير الفقه في ضوء القرآن والسنة: فقه الصيام). ولكن ترتيبه في هذه السلسلة ليس الأول، إنما استجبنا لاقتراح بعض الإخوة: أن ننشر ما ينجز، بغض النظر عن الترتيب. ويمكن اعتبار كتاب (الحلال والحرام) جزءاً من هذه السلسلة أيضاً.

والآن نصدر هذا الكتاب الذي يعد فاتحة لهذه السلسلة، بما يحتوي من أصول ومقدمات تلقي الضوء على منهجنا في هذا الأمر الجلل، وعن شرعية التيسير، ولماذا نتبناه؟ وما المقصود به في مجال الفهم، وفي مجال العمل والتطبيق؟ وعن أصول هذا الفقه الميسر. وهي أصول الفقه الإسلامي نفسها، في ضوء فهم جديد يتّسم بالتكامل والتوازن، ويهدف إلى التجديد والتيسير.

وبهذا تتعانق هذه السلسلة في فقه الأعمال الظاهرة والسلسة الأخرى في فقه الأعمال الباطنة (تيسير فقه السلوك في ضوء القرآن والسنة: في الطريق إلى الله) وقد صدر منها ثلاثة أجزاء. (هي الآن أربعة بحمد الله).

وقد كان شيخنا السيد سابق حفظه الله، أصدر من أكثر من ربع قرن كتابه الشهير (فقه السنة) ونفع الله به كثيرين، وأنا منهم، ولكن العلم لا يقف عند حد، ولكل شيخ طريقة ومنهج، والأمة في حاجة إلى أكثر من كتاب، وأكثر من رؤية، وهذا ما كان عليه علماؤنا السابقون رضي الله عنهم.

والله نسأل أن يرينا الحق حقًّا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يهب لنا نوراً نمشي به في الظلمات، وفرقاناً نميز به بين المتشابهات، وأن يهدينا لما اختُلف فيه من الحق بإذنه، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

كما نسأله تبارك وتعالى أن يهب لنا العافية والعون والبركة والتوفيق،

لإكمال هذه السلسلة الفقهية وشقيقتها السلوكية، على ما يحب ربنا ويرضى، وأن ينفع بهما المسلمين في كل مكان وأن يتقبل منا عملنا، ويرزقنا الإخلاص فيه. إنه سميع مجيب ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٨].

* * *

الدوحة صفر الخير ١٤١٧هـ[1].

يوليـــــو ١٩٩٦م

الفقير إلى ربه

يوسف القرضاوي

---

(١) كتبت هذه المقدمة في تاريخها المذكور، أي منذ نحو ثلاث سنوات على أمل أن أدفع الكتاب للمطبعة، وقدر الله أن يتأخر إلى اليوم (صفر الخير ١٤٢٠هـ ــ يونيو ١٩٩٩م) وكل شيء بأجل مسمى. والخير فيما اختاره الله جل شأنه.

obeikandl.com